فكاهات

رواية

سرقة الحب [1]

حدث في سنة ١٧٩٠ انهُ كان في مدينة ريمس رجلٌ متوسط الحال رزقهُ الله ابنةً آيةً في الجمال دعاها اوجيني فلما ترعرعت ارسلها الى احدى المدارس لتتلقى فيها العلوم وكان والدها يفي نفقاتها مما يستفضلهُ من كدهِ واجتهادهِ . ولما اتمّت الفتاة دروسها عادت الى بيت ابيها وكان قد اصبح مسنًّا ضعيف الهمة فودت ان تعينهُ في تحصيل القوت وتوفقت الى وجود مدرسةٍ تدرّس فيها بعض العلوم فكانت تكتسب منها ما يفي بنفقاتها ونفقات بيتها

وكان في نفس المدينة فتىً رقيق الحاشية يدعى اوغست كان يعمل في احد المعامل الكبيرة فيحصّل منهُ ما لا يزيد عن كفايتهِ وكان اوغست ابيّ النفس عالي الهمة امينًا نشيطًا وكان بين رصفآئهِ مثال الاخلاص والوداد ولدى قيّم اشغالهِ مثال الامانة والاجتهاد . وحدث ان اوغست رأى يومًا اوجيني ذاهبة في الصباح الى المدرسة فأُعجب بها غاية الاعجاب وجعل كل يوم يمرّ من نفس المكان في نفس الوقت فيمتع عينيهِ بطلعتها البهية وتوالت

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

الايام على ذلك حتى حدث عندهُ بها ولعٌ شديد ودفعتهُ نفسهُ الى التعرف بها فرأى من لطف حديثها ورقة اخلاقها ما ضاعف حبهُ لها فقصد والدها وكلمهُ في خطبتها . وكان الوالد المسكين غير ميالٍ الى ابعاد ابنتهِ عنهُ وهي القائمة بمعاشهِ ولكنهُ خاف ان يحرمها راحة مستقبلها فاجاب اوغست الى طلبهِ بعد ان ترضى بذلك اوجيني . ولما عادت اوجيني الى البيت فاتحها والدها بالحديث فلم تبدِ ممانعةً وهكذا قُضي الامر فخطب اوغست اوجيني وجعل بعد ذلك يجدّ في عملهِ لتحصيل نفقات الزفاف ولم تترك اوجيني مدرستها رجآء ان تحصّل ما تعين بهِ والديها وتستبقي شيئاً لتجهيز نفسها . وكان اوغست يمرّ عليها كل يومٍ بعد انقضآء شغلهِ فتلاقيهِ في حديقة بيتها ويجلس الحبيبان يتحادثان ويتشاكيان وكانت هذه الدقائق تزيد اوغست ولعاً وهياماً فلم يعد يقوى على مفارقتها دقيقةً واحدة بل كان لا يصدق ان ينتهي عملهُ في المسآء حتى يطير على اجنحة الشوق الى مالكة فؤادهِ

وفي ذات يومٍ بينما كانت اوجيني في الحديقة تقطف بعض الازهار مرّ من هناك احد اصدقآء اوغست فوقف وحياها ثم قال آه ما اسعد اوغست لحصولهِ عليكِ وانتِ ولا شك تجمعين هذا الزهر لهُ فيالها من غبطة . قالت وهل الحصول على زهرة يُعدّ غبطة . قال نعم اذا كانت من يدكِ اللطيفة . فتبسمت اوجيني بتيهٍ ودلال ثم قالت اذا كان الامر كذلك فلا احرمك هذه الغبطة وتناولت زهرة وقالت اقبل مني هذه الزهرة . فطرب الفتى وقال اما وقد تعطفتِ عليَّ بهذه النعمة فهل لكِ ان تتمها

وتضعي الزهرة في عروة ثوبي . قالت نعم وتقدمت اليهِ ثم وضعت الزهرة حيث طلب وهو يتأمل في جمالها الرائع ولطافة يدها وبياضها النقيّ

واذ ذاك سمعت اوجيني وقع اقدام فنظرت واذا باوغست آتٍ فاسرعت الى ملاقاتهِ ورأى الفتى الآخر انهُ لم يعد لهُ محل من الاعراب في تلك الجملة فاختلس نفسهُ وسار في طريقهِ . ولما قابلت اوجيني حبيبها رأتهُ مقطب الحاجبين فسألتهُ عن السبب فقال لقد ساءني اني رأيتكِ تضعين الزهرة بيدك على صدر هذا الفتى . قالت وماذا يمنع من ذلك يا اوغست . قال هو ما تعلمين من حبي لكِ فاني اكره ان ارى هاتين اليدين تخدمان غيري . فصعد الدم الى وجنتي اوجيني وخالجت صدرها افكارٌ شتى ثم سكنت روعها وقالت اودّ ممن يحبني ان يعرف مقدار امانتي ويعلم انني لا احتمل تهمة الخيانة . ثم اني لا ارى لك حقًّا يا اوغست ان تعترضني فيما افعل فانك وان تكن خطيبي الآن لم تصر زوجي بعد ولا حق لك في تقييد حريتي منذ الآن . ورأى اوغست تهيجها وقرأ في عينيها غيظاً شديداً فتلافى الامر وضمها الى صدرهِ مداعباً

واتفق في تلك الاثنآء ان جآء من باريز بعض الأُسر الشريفة الى رَيمس لقضآء فصل الخريف فيها فبعد ان استقرّ بهم المقام جعلوا يتنزهون في ضواحي المدينة ويزورون المحلات الشهيرة فيها وقصد بعضهم زيارة المدرسة التي تعلم فيها اوجيني فأُعجبوا بما عاينوا فيها من الترتيب والاتقان وكان بين الزائرين فتىً من اشراف الفرنسيس يدعى الكُنت دوڤيم قد توفي والداهُ وتركا لهُ اموالاً طائلة لا منازع لهُ فيها . وكان قد علق ابنةً لاحد

الوجهآء تدعى لويز فاحبها واحبتهُ ولما جآءت مع اسرتها الى ريمس تبعها وأوَى الى نزلٍ بالقرب منها فكان يقضي اكثر اوقاتهِ عند حبيبتهِ ويرافقها حيث سارت وجآء معها ومع آلها الى المدرسة كما ذُكر . اما لويز فلم تكن جميلة المنظر غير انها جامعةٌ لافضل الصفات الحسنة التي يتحلّى بها النسآء المهذبات فلما دخل الكنت المدرسة وقع نظرهُ على اوجيني فأخذت بمجامع قلبهِ لما رأى من جمالها الرائع ورشاقة قدها وعذوبة كلامها واغتنم فرصة للاقتراب منها وقال هل انتِ موكلة بالتعليم هنا . قالت نعم . قال عجباً وكيف يمكنكِ مع نحافة جسمكِ ان تحملي مشاقّ التعليم واتعاب التدريس . فلم تبدِ اوجيني جواباً بل اطرقت برأسها الى الارض وصبغ الدم وجنتيها فزاد في جمالها . ثم قال الكنت أوَلا تروضين نفسكِ بالنزهة بعد عنآء الشغل . قالت بلى . قال والى اين تذهبين . قالت الى الغابة التي في شمال المدينة . قال وفي اية ساعةٍ تذهبين . قالت في السادسة مسآءً . قال وهل تذهبين غداً . قالت نعم . قال ساتحرّى ان اقابلكِ هنالك غداً فان لي كلاماً اقولهُ لكِ . ثم اسرع الى قرب حبيبتهِ لويز فاتموا طوافهم في المدرسة وعادوا وبقيت اوجيني في حيرةٍ عظيمة وهي تلوم نفسها على ضربها هذا الموعد مع الكنت على غير قصدٍ منها وكلما خطرت لها مقابلتهُ ترتعش جزعاً وودّت ان تعلم اوغست بذلك غير انها خافت ان يكون سبباً لغيظهِ وربما اوّلهُ الى معانٍ مختلفة فغلب على رأيها ان تقابل الكنت تلك المرّة وحدها ثم لا تعود الى مقابلتهِ مرةً اخرى . ومرّ عليها اليوم الثاني وهي في قلقٍ شديد الى ان كان المسآء وفرغت من شغلها فتأبطت مظلتها وسارت الى

الغابة ولما بلغتها اذا الكنت دوقيم ينتظرها تحت احدى الاشجار فلما رآها نهض مسرعاً وصافحها مرحّباً . وشعرت اوجيني انها ترتكب ذنباً ولكنها تجلدت وقالت ارغب اليك يا سيدي الكنت ان تخبرني بما تريد فانني لا استطيع ان اتأخر . قال قد اعددت لكِ هذا الحجر لتجلسي عليهِ اذا شئتِ . قالت لا فانني افضل المشي . فسار بجانبها ثم قال بلغني انكِ تهوين فلاحاً من فعلة المعامل وقد تعجبت كيف سمحت الاقدار ان يمتلك هذا الجسم اللطيف والهيكل البديع رجلٌ اقسى من الحديد واغلظ من خشب الناب . قالت كلٌّ يأوي الى ابنآء جنسهِ وانا لا اؤمل الحصول على زوجٍ من الاشراف فليس فيَّ ما يؤهلني لذلك . قال كيف لا وانتِ ملاكٌ تستحقين العبادة من اشرف ابنآء فرنسا واوسعهم جاهاً وثروةً فان الله لم يخلق هذا الجسم الا ليرتدي بمطارف الحرير ولم يوجد هذا الوجه الا لينير بين اوجه الملوك واصحاب الشأن فآه لو اسعفني البخت وعرفتكِ قبل الآن حتى كنت اجثو امامكِ طالباً يدكِ وكنت اعدّ نفسي من اسعد البشر بالحصول عليكِ . وجعل الكنت يزيد في اطرآئهِ وتمليقهِ حتى فقد قلب اوجيني النسآئي كل قوّةٍ مدافعة وفكرت فيما تصير اليهِ من السعادة مع هذا الكنت مما لا تحلم بهِ مع حبيبها اوغست الفقير . وبينما هما يسيران اذا باوغست قادمٌ ولما رأى اوجيني بجانب شابٍّ يجهلهُ صعد الدم الى رأسهِ وتبين الغيظ في وجههِ فاقترب بدون ان يسلم وقال ذهبت الى البيت يا اوجيني فلم اجدكِ وظننت انكِ تكونين هنا محل نزهتكِ فاتيت لآخذكِ فهيا بنا . فنظرت اليهِ اوجيني بعين حبٍّ ولكن بهيئة المتكبر وقالت لا

حاجة الى ان تأخذني انت الى البيت فانا اقدر ان اذهب وحدي . قال لكن اظن ان لي حقاً في مرافقتكِ انا خطيبكِ اكثر من هذا الشاب الذي اجهلهُ . قالت انهُ لا يجبرني على مرافقتهِ بينا انت تأمرني ان اسير معك وقد اعلمتك قبل الآن انك لم تصر بعد في الدرجة التي فيها تحكم فاطيع . وبلغ الغيظ من اوغست منتهاهُ فحرق الأُرَم وصاح مغضباً سنتكلم في هذا المعنى في غير هـذا الوقت والآن فاما ان ترجعي معي والا فانكِ لن تري وجهي من بعد . قالت لست بذاهبةٍ معك وانت وما تريد . فحوَّل اوغست وجههُ وسار وفي قلبهِ براكين من اليأس والقهر والغمّ . وحينئذٍ فتح الكنت فاهُ وجعل يصف لاوجيني شراسة اوغست ثم حقق لها مزيد حبهِ وانهُ لا بأس عليها اذا تركها اوغست فهو سيأخذها ويجعلها اسعد البشر ثم افترقا وقد الحَّ عليها ان توافيهُ الى هنالك في اليوم الثاني . وفي المسآء ذهب الكنت كعادتهِ الى بيت خطيبتهِ لويز فرآها دامعة الطرف فسألها عن السبب فقالت انها قد اغتمت لغيابهِ عنها ثم قالت اظنك همتَ بالمعلمة التي رأيناها امس فلم تعد تسأل عني . فسكت دوڤيم ولم يجب فكان سكوتهُ داعياً لزيادة ارتيابها فخرجت الى الحديقة وهي تشرق بالدموع . وتبعها الكنت ليخفف ما بها ولكنهُ وجد من الرأي ان يعترف لها بانهُ لم يعد يحبها كالاول . فجآء اليها وقال اسمعي لي يا لويز اني لم افتتن بالمعلمة كما تزعمين ولكن قلبي قد كره الحب واودّ ان اقطع رُبُطهُ بيننا فسامحيني على ما مضى وانسيني في ما سيجيء . ولم تكن لويز متوقعةً لسماع هذه الكلمات فطار رشدها وسقطت الى الارض خائرة القوى فانهضها دوڤيم واجلسها على

مقعدٍ خشبي وجلس بجانبها ثم اخذ الاثنان يتعاتبان ورأت لويز انهُ لم يعد امل في حصولها على محبتهِ وتحققت خيانتهُ فهان عليها الموت وصممت على امرٍ خفي . فتمالكت روعها ثم قالت لهُ اذا كان هذا ما صممت عليهِ فوافِني غداً في مثل هذه الساعة الى هنا واحضر لي جميع رسائلي اليك فنتبادل كتُبنا ولا اعود اراك بعد . ففرح دوقيم بذلك ووعدها وسار . اما لويز فلم تغمض اجفانها كل تلك الليلة وقد اصابها شيء من الجنون وفي اليوم الثاني ذهبت الى محل الوعد وانتظرت حيناً واذا بالكنت آتٍ

اما اوغست خطيب اوجيني فظهرت لهُ حقيقة الامر للحال وعرف ان حبيبتهُ قد أُغريت على تركهِ ولكنهُ كان لشدة محبتهِ لها لا يهمهُ الا سرورها وكان يعلم ان الكنت هائم بلويز فعزم ان يفاتح الكنت بالامر ويخبرهُ انهُ ان كان حقيقةً يحب اوجيني فهو يتنازل لهُ عنها ولكن اذا كان قصدهُ اللهو بمعاشرتها حيناً من الزمن فانهُ يسعى بمنعهِ خوفاً على قلب اوجيني ان يتعلق بالكنت ثم ترى انهُ خانها فيكون ذلك عليها وبالاً . ولما كان مساء الليلة المذكورة انطلق لمواجهتهِ فرآهُ يسير امامهُ الى ناحية الحديقة وعلم انهُ ساعٍ لمقابلة لويز فاحب ان يتبعهُ ليرى ما يكون او يسمع من حديثهِ ما يطلعهُ على حقيقة حالهِ . ولما التقى دوقيم بلويز كمن اوغست ورآء شجرةٍ بحيث يراهما ولا يريانهِ

فقالت لويز للكنت ألم ينهَك ضميرك عن كسر قلبي أوَلا تزال مصمماً على قطع العلائق بيننا . قال لا دخل للضمير في شأننا فكما احببتك كرهتكِ واود ان اتخلص منكِ ونحن لم نأتِ الى هذا المكان للمعاتبة

فخذي رسائلكِ واعطيني رسائلي كما اتفقنا امس . قالت حسنٌ ايها الظالم فخذ رسائلك ثم مدت يدها الى جيبها واخرجت منهُ مسدساً فوجهتهُ الى صدر الكنت وقبل ان تتمكن من اطلاقهِ وثب الكونت عليها كالذئب الخاطف فانتشل المسدس من يدها ووضعهُ في صدرها وافرغ منهُ رصاصتين اخترقتا قلبها فسقطت على الارض ميتةً . وادرك الكنت موقفهُ فاسرع وانتشل من تلك الجثة الجواهر والحلى التي عليها فوضعها في منديلٍ في جيبهِ وهمّ بالهرب واذا باوغست قد خرج من مخبئه وهجم عليهِ وهو يقول يا لك من قاتلٍ . ولم يكن الكنت ينتظر هذه المفاجأة ولكنهُ لم يلبث ان استعاد رشدهُ فامسك باوغست وجعل يستغيث وينادي وسمع اهل البيت اطلاق الرصاص واصوات الاستغاثة فاسرع والد لويز والخدم بالمصابيح الى محل الحادثة فوجدوا جثة الفتاة مضرجة بالدماء والكنت يصيح امسكوا اللص امسكوا القاتل . ولما كان جميعهم يعرفون الكنت وانهُ خطيب لويز لم يشكوا في ان اوغست هو المجرم فاوثقهُ الخدام للحال وساروا بهِ وهو صامت فاسلموهُ الى الجند وأُودع السجن واظهر الكنت حزنهُ الشديد على مقتل لويز تعزيةً لوالديها وفي اليوم الثاني دُفنت الجثة بالاكرام اللائق ثم احتشد الجمهور في دار الحكومة لسماع محاكمة القاتل . اما اوغست فكان صامتاً لا ينبس ببنت شفةٍ وقرر القضاة جريمتهُ فحكم عليهِ بالاعدام عند ورود الامر الملكي من باريز . وكان بين رجال الشحنة فتىً ذو عين نقادة فرأى في حالة الكنت ارتباكاً وفي عيني اوغست براءةً وعفةً واستقامةً ثم تحقق بعد البحث ان اوغست لم يمسّ شيئاً من حلى

القتيلة فقكر ان في الامر سرًّا عميقاً وصمّم على ادراكهِ . وفي اليوم الثاني اخذ الكنت رسالةً نفضها فاذا هي من اوغست يقول فيها

« انني تحملت القصاص عنك طائعاً وساقبل الموت بسرور لكن املي الوحيد انك بعد ان تخلصت من حبيبتك الاولى تكون مخلصاً لاوجيني فاني انما رضيت ان اضحّي نفسي حتى لا احرمها السعادة التي تؤملها بحصولها عليك وفي يقيني انها ستكون عندك في حالةٍ افضل كثيراً مما يمكن ان تجدهُ عندي . فاذا رأيت اني استحق مكافأةً منك لسكوتي عن فعلتك ولاجل تحملي تهمة القتل والسرقة وفوق ذلك الاعدام فالمكافأة الوحيدة التي اطلبها منك هي ان تعتني باوجيني من بعدي وان يكون من احسانك اليها ما ينسيها ذكري ولا يجعلها تحزن على فقدي »

وكان الكنت دوڤيم قلق البال لا يقرّ لهُ قرار ولم يدرِ ان الشرطي المذكور آنفاً يتبعهُ كظلهِ فعزم ان يتخلص من جواهر وحلى لويز خوفاً من ان يراها احد فيكشف سرّهُ فركب السكة الحديدية وسافر قاصداً باريز . وكان في طريقهِ جسر حديدي كبير يمرّ عليهِ القطار فوق نهرٍ عميق فلما بلغهُ اخذ المنديل الموضوعة فيهِ الحلى والقاهُ الى وسط النهر واذ ذاك سُرّي عنهُ قليلاً وتحقق انهُ قد انتفت عنهُ كل شبهة . ولما وصل الى قصرهِ في باريز سجن نفسهُ في غرفتهِ غير ان ضميرهُ لم يكن يريحهُ دقيقةً من التبكيت فبات عرضةً للوساوس والافكار المزعجة وكثيراً ما همّ بالانتحار تخلصاً من تعب فكرهِ . وآخر الامر اخذ رسالة اوغست وكتب تحتها رسالةً الى اوجيني يعلمها بالامر على جليتهِ وانهُ اصبح ملعوناً من السمآء والارض

وسيسافر الى اقصى العالم حيث يموت منسياً وارسلها اليها . ثم انهُ نهض واخذ بعض ما يحتاج اليهِ وسار الى محطة القطار عازماً على مهاجرة بلادهِ فلم يشعر الا ويدٌ حديدية قد قبضت عليهِ وسمع صوت قائلٍ يقول اتبعني يا حضرة الكنت دوقيم فالعدل محتاجٌ اليك . فاصفرّ الكنت وسقط الى الارض مغشياً عليهِ فرفعهُ الرجل وكان هو الشرطي المذكور ووضعهُ في عربةٍ ونقلهُ الى ريمس . وكان في صباح اليوم الثاني موعد انفاذ الحكم في اوغست فاخبر الشرطي الحكومة بان اوغست بريءٌ وان الجاني هو الكنت وقدّم على ذلك البيّنات الناصعة وفي جملتها منديل الكنت وفيهِ الحلى وعليهِ اسمهُ وكان الشرطي قد التقطهُ حين القاهُ الكنت من نافذة القطار . ولما استُنطق الكنت اقرّ بما فعل فصدر عليهِ الحكم بالاعدام وقبل انفاذ الحكم طلب ان يكتب وصاتهُ الاخيرة فاوصى بجميع امواله واملاكهِ لاوجيني للتكفير عما جنى عليها

ولما أُفرج عن اوغست وكانت رسالة الكنت قد بلغت الى اوجيني اسرعت للحال واقبلت الى اوغست فألقت بنفسها على قدميهِ تطلب الصفح وقد علمت خطأها الجسيم وعلم اوغست ان ما اتتهُ لم يكن الا عن غرورٍ سطا على فؤادها الطاهر فاقترن بها وقضت حياتها معهُ وهي اوفى لهُ من نفسهِ وأحنى عليهِ من ضلوعهِ وأطوع لهُ من بنانهِ